

179 سلسلة محاضرات الإمارات

الخطاب الداخلي في إيران والتحديات الأمنية الحقيقية

توماس ليندمان



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

أصبحت إصدارات مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، علامة مسجلة للجودة والدقة العلمية في كل أنحاء العالم العربي، ومراجع لا غنى عنها للأكاديميين والباحثين والمختصين في شتى فروع العلم، والراغبين في الاستزادة من المعرفة في أرفع صورها. وفي الذكرى العشرين لإنشائه، في مارس/آذار 2014، كان مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية قد أضاف إلى المكتبة العربية ألف إصدار، غطت طيفاً واسعاً من التخصصات والموضوعات الواقعة ضمن نطاق اهتمامه، من السياسة والاقتصاد والإعلام إلى مجالات الاستراتيجية والمعلوماتية والعلوم العسكرية.

ويضمن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، من خلال عملية مُحكمة يقوم بها فريق عمل متميز القدرات والمهارات، خروج إصداراته شكلاً ومحتوى وفق أرقى المعايير المطبقة عالمياً، ما منحه ريادة تمثلت حصيلتها في عدد كبير من الجوائز المتخصصة التي فازت بها إصداراته.

وتضاف هذه الإصدارات إلى سجل طويل من الأنشطة العلمية والبحثية التي يضطلع بها مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ودوره المؤثر في صناعة القرار في دولة الإمارات العربية المتحدة.

من هذا المنطلق يقوم المركز بإصدار **"سلسلة محاضرات الإمارات"** التي تتناول المحاضرات، والندوات، وورش العمل المتخصصة التي يعقدها المركز ضمن سلسلة الفعاليات العلمية التي ينظمها على مدار العام، ويدعو إليها كبار الباحثين والأكاديميين والخبراء؛ بهدف الاستفادة من خبراتهم، والاطلاع على تحليلاتهم الموضوعية المتضمنة دراسة قضايا الساعة ومعالجتها، وتهدف هذه السلسلة إلى تعميم الفائدة، وإغناء الحوار البنّاء والبحث الجاد، والارتقاء بالقارئ المهتم أينما كان.

رئيس التحرير: **أمل عبدالله الهدّابي**

سلسلـة محاضـرات الإمـارات

- 179 -

الخطـاب الداخلي في إيـران والتحديات الأمنية الحقيقية

توماس ليندمان



تصدر عـن

مركـز الإمـارات للدراسـات والبحـوث الاستـراتيجيـة

هذا الإصدار مستند أساساً إلى نصّ المحاضـرة التي أُلقيت في مقر المركز بتاريخ 8 مايو 2013، ولا يعبّر محتواه بالضـرورة عن وجهة نظر المركز.

الطبعة الأولى 2014

ISSN 1682-122X

النسخـة العاديـة ISBN 978-9948-14-877-7

النسخة الإلكترونيـة ISBN 978-9948-14-878-4

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:

سلسلة محاضـرات الإمارات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ص. ب: 4567

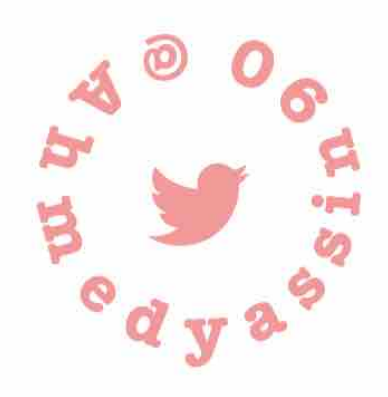
أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 4044541-9712+

فاكس: 4044542-9712+

E-mail: pubdis@ecssr.ae

Website: http://www.ecssr.ae


@Ahmedyassin90

مقدمة

لماذا اتسم سلوك الجهات الفاعلة في إيران بمثل هـذه العدوانيـة طـوال العقـد المـاضي، وبخاصـة منـذ عـام 2005؟ ولمـاذا كـان الفشـل مصـير البيريسترويكا [إعادة البناء] الإيرانية؟ ففي فترة من الفترات، اتسم السـلوك الإيراني في الساحة الدولية بالتهديدات العسكرية ومواقف الردع، واستخدام لغة الترهيب ضد إسـرائيل، والتلميح بالعسـكرة النوويـة، والمسـاعدة عـلى التحريض "الثوري" في الدول ذات الأغلبية الشيعية. وبنـاءً عليـه، لا تمكـن الاستهانة بالتداعيات المحتملة لــ "نشـاطات" إيـران عـلى منطقـة الخلـيج. فمثلاً، إذا قامت الولايات المتحدة الأمريكية أو إسـرائيل بشـنّ هجـوم عـلى البنية التحتية النووية الإيرانية، فقد يعقب ذلك انتقام إيراني من دول الخليج، ولاسيما تلك الدول التي استضافت القوات الأمريكيـة. ومـن ثـمّ، سـتحدّد هذه الورقة الخطوط العريضة لثلاث فترات متميزة، مرتبة زمنياً، من السلوك الإيـراني المتنـاوب: فترتـان منهـا تتسـمان بسياسـات عدائيـة (1979–1989 و2005–2013)، وفترة ثالثة تتسـم بـالانفراج النسـبي بـين إيـران والغـرب (1989–2002).[1]

لقد جرى طـرح تفسـيرات كثـيرة لهـذه التباينـات في سـلوك السياسـة الخارجية الإيرانية، مثل الدوافع المتعلقة بالمكاسب، أو الفرص الأمنية الناجمة عن انتشار التقنيات، أو "التطويق الأمريكي" لإيران من خلال نشـر القوات في العراق وأفغانستان.[2] ومع أن لهذه التفسيرات ما يبررها إلى حدّ ما، فإنها لا تجيب عن بعض الأسئلة الأساسية المثيرة للفضول: لماذا يعلن صـانعو القـرار

الإيراني عن أنفسهم بأنهم دولة نووية كبيرة، ويهددون إسرائيل قبل أن يكونوا قادرين فعلاً على توظيف هذا الردع النووي؟ ولماذا تؤكد إيران على الخيار النووي على الرغم من التكاليف الاقتصادية العالية المرتبطة بهذا الخيار (العقوبات المفروضة عليها، مثلاً)؟

وخلافاً للباحثين الآخرين، سأوضح في تحليلي هذا أوجه الغموض تلك بالتركيز أكثر على لغة الخطاب المتسمة بـ "تعظيم الذات" في أوساط صنع القرار بإيران؛ وأعني بذلك قيام المعنيين بتصوير تماسكهم وقوتهم بشكل مبالغ فيه، معتمدين في ذلك على تقديم صورة قوية عن "العدو".[3] ويفيد تكوين مثل هذه الأساطير[4] في إعادة تنشيط احترام الذات لدى صانعي القرار في البلاد، ويعزز في الوقت نفسه شرعيتهم في الداخل. وبما أن إعادة تقييم "الذات" ليست عملية منعزلة، بل وثيقة الصلة بأطراف مشاركة أخرى، تقوم هذه الأساطير أيضاً على شيطنة جهات فاعلة دولية مهمة أخرى (في هذه الحالة، الولايات المتحدة الأمريكية).[5]

وستوضح هذه الورقة التباين المشترك بين ما تصم الولايات المتحدة به إيران، وما يتّسم به خطاب إيران الداخلي وسياستها الخارجية من التطرف.[6] وسيرسم القسم الأول من هذه الورقة الخطوط العريضة للتباينات التاريخية في سياسة إيران الخارجية ونهجها في تعاطي السياسات الدولية؛ وسيثبت، على وجه الخصوص، أن خطاب السياسة النووية ماانفكّ يُستخدم لتقديم صورة ذاتية إيجابية عن إيران معزولة دولياً. وسيوضح القسم الثاني أن هذه التباينات الزمنية في خطاب إيران الداخلي ونهجها في السياسة الخارجية ترتبط بالصورة التي كوّنتها الولايات المتحدة وأوروبا عن إيران، ويقيم

الحجة على أن وصم إيران بأنها "دولة مارقة" قد ساهم في نشوء الأوصاف الذاتية النرجسية التي تصوّر القوى الدولية الغربية بأنها شريرة.

الإطار النظري: ما أهمية الخطاب في فهم السياسة الخارجية؟

يتعيّن على صانعي القرار جميعاً أن "يقدّموا" للجماهير في الداخل خطاباً يتناول الساحة الدولية ودور بلادهم في المرحلة المعنية تحديداً. كما يتعين عليهم في العادة تأطير هذا الخطاب بحيث يُولون اهتماماً خاصاً لعنصرين: الأول، أن يقدم الخطاب صورة ذاتية إيجابية عن الجموع الوطنية وصانعي القرار الذين يقدمون هذه الصورة؛ والعنصر الثاني، أن يأخذ هذا الخطاب "الآخرين" الذين يعارضون مثل هذا الخطاب في الاعتبار. ولا يعد الخطاب أمراً "ثابتاً"، بل هو في المقام الأول فكرة موضوعة قيد التطبيق، ولها هدف عملي جداً يتمثل في حفظ "ماء وجهنا" في خضم التفاعلات الاجتماعية.[7] وهكذا، إذا استخفّ الآخرون بنا، فسوف نحاول أن نروي لأنفسنا وللآخرين قصة تتفق وهدف الحفاظ على احترام الذات الإيجابي.[8] وعملياً، قد يعني ذلك - مثلاً - إلقاء اللوم على الآخرين من حيث أحكامهم السيئة تجاهنا، بوصفهم "يغارون منا" أو "يكرهوننا".

ولابد من التأكيد على أن الخطاب حاسم بشكل خاص في ما يسمى الدول الثورية، التي تحاول اتخاذ هوية جديدة؛ فالدول الثورية - في أحيان كثيرة - لا تُجري "تحليلاً للتكاليف والمنافع" في مجال العلاقات الخارجية التقليدية؛ لأنه يتعين عليها ترسيخ شرعيتها الداخلية أولاً. وهكذا، فإن هدف هذه الدول الرئيسي هو «متابعة مهمتها الثورية واتخاذ هوية معينة

تقوم على مجموعة معينة من المعايير والقيم».[9] فحتى السلوك الخاطئ والمحفوف بالمخاطر على الساحة الدولية قد تكون له "ميزة" تعزيز الاستقرار (والتماسك) الداخليين.

ووفقاً لفرضيتي الأولى، تعدّ سياسة "حافة الهاوية" الإيرانية في العلاقات الدولية (السياسة النووية و"المساعدات الثورية") هي النتيجة الطبيعية، جزئياً، لخطاب إدراك الذات وتقديرها، والذي يضفي الشرعية على صانعي القرار الإيراني في الساحة الداخلية. ومن هنا، يُعرَّف خطاب إدراك الذات بأنه الخطاب الذي يتيح للجهات الفاعلة الحفاظ على صورتها الذاتية الإيجابية، في ما لم يجر في الواقع الاعتراف بها (ويتم رفضها) من قبل القوى الكبرى ("الأخرى" المهمة)، بشكل رئيسي من خلال شيطنة الآخر.[10]

وبما أن «اتخاذ الهوية يعد عملية تمييزية؛ أي وصف المجموعة التي ينتمي إليها الشخص المعني وتمييزه في الوقت نفسه عن الآخرين»،[11] فإن خطاب إدراك الذات يستند إلى التفرعات الثنائية الإجمالية لـ ("نحن" و"الآخرون")، أما إدراك "الذات" فيقوم عادة على معارضة الآخرين. ويتّسم خطاب إدراك "الذات" بالخصائص التالية:

1. لكونه يشير إلى "الذات"، فمن شأنه أن يحدد مجتمع الشخص المعني على أنه ذو طابع فردي بشكل حاد وأسمى أخلاقياً من "أعدائه". ويتم عكس "الذات" التي وصمت بالسوء، لتغدو شيئاً "استثنائياً" و"إيجابياً"؛[12] فعلى سبيل المثال، يُحوَّل ما يسمى "التخلف" إلى شيء نقي ومناقض لـ "الفساد" الغربي.

2. وفي ما يتعلق بـ "الآخرين"، فغالباً ما يقوم مثل هذا الخطاب على الإنكار التام لوجود الآخر. وكما قال كارل شميت Carl Schmitt: «تتعلق بمفهوم العدو إمكانية حدوث القتال الحاضرة دائماً». وما من تعاون قائم على مصالح مشتركة يُعتقد أنه ممكن الحدوث؛ كما «تكتسب مفاهيم "الصديق"، و"العدو"، و"القتال" معناها الحقيقي الدقيق لأنها تشير إلى الإمكانية الحقيقية لحدوث القتل المادي»[13].

3. بالإضافة إلى ذلك، غالباً ما يعتمد خطاب إدراك الذات على ديناميات اضطهادية تتّسم بإسقاط شعور المرء بذنبه على الآخرين. وهكذا، تعدّ تبسيطية "تفكير الأسود والأبيض" و"التضحية" بالذات من سمات مثل هذا الخطاب.

ووفقاً لفرضيتي الثانية، يتأثر خطاب إدراك الذات هذا بوجود آخرين مهمّين في سياق العلاقات الدولية، وبشكل خاص من جانب قوى عظمى مثل الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى نحو أكثر دقة، يرتبط تطور هذا الخطاب بسياسات الاعتراف وعدم الاعتراف. ويعتمد تطور خطاب إدراك الذات اعتماداً كبيراً على وجود سياسة الاعتراف لدى آخرين مهمين.

ووفقاً لمعايير التفاعل الموجودة في النظام الدولي المعاصر، تعني سياسة الاعتراف[14] ما يلي:

الوضع

الاعتراف الأساسي (رؤية الآخر): هل يُعترَف بوجود الدولة؟ وبشكل أكثر تحديداً، ما هو مدى تطور مواقف الولايات المتحدة الأمريكية

والاتحاد الأوروبي تجاه "حق" إيران في الوجود؟ هل توجد أي علاقات دبلوماسية رسمية؟

حماية "الوجه الإيجابي": يرتبط الحفاظ على الوجه الإيجابي بالوضع الاجتماعي. ففي النظام الدولي – منذ مؤتمر فيينا – توجد قاعدة غير رسمية تفيد بأن المسؤولية الدولية للدولة ينبغي أن تُحدَّد بإمكانات قوتها. فمن معايير تحديد مسؤوليات الدولة وجودُها في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة أو المؤسسات الدولية الأخرى. وستكون هناك فجوة في الوضع في حال تفوقت إمكانات قوة الدولة على المسؤوليات الدولية.

المكانة أو الهيبة

في ما يتعلق بالهوية والماضي، هل هناك اعتراف بصدمةٍ ما تعرضت لها الدولة؛ أي من ماضي إيران الخاص؛ مثل العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية ونظام الشاه "القمعي"؟ وعلاوة على ذلك، يتشكّل الوضع الاجتماعي لدولة ما بفعل "مكانتها الأخلاقية"؛ أي ما هو عدد الدول الحليفة لها. وستكون هناك فجوة في المكانة في حال تفوقت إمكانات قوة الدولة على "رأس مالها الرمزي" (وفق نظرية بيير بورديو Pierre Bourdieu).

التعاطف

هل هناك أي علامات تشير إلى حدوث مشاركة وجدانية أو تعاطف مع الدولة المعنية وسكانها في حالات الكوارث البشرية والطبيعية؟ من وجهة

نظـري، ووفقـاً للنمـوذج المبـين، أثّـر تطـور السياسـة الأمريكيـة المتعلقـة بالاعتراف بإيران تأثيراً كبيراً في تطور "خطاب إدراك الذات" وطابعـه لـدى إيران. وبناءً عليه، ينبغي أن نكون قادرين في نهايـة المطـاف عـلى الـربط بـين مستوى سياسة حافة الهاوية التي تعـدّ إيـران منخرطـة فيهـا، ونـوع سياسـة الاعتراف هذه التي تعد الولايات المتحدة منخرطة فيها.

إدراك الذات والعزلة: إيران بين عامي 1979 و1989

سياسات الثورة

في أثنـاء هـذه الفـترة، اتسـمت سياسـة إيـران بالانفعـال الثـوري، والتطلعات النووية، والتصادم مـع الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. ولتأكيـد طموحاتها الثورية، دعت المادتان 152 و154 مـن الدسـتور الإيـراني الجديـد تقديم المساعدة العالمية "لإخوتها" من المسلمين. فقد نصت المادة 152 حرفياً على الآتي: «تقوم السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية على... الدفاع عن حقوق جميع المسلمين، وعـدم الانحيـاز إلى القـوى العظمـى المتسـلطة، والحفاظ على العلاقات السلمية المتبادلـة مـع جميـع الـدول غـير المحاربـة». وحتى في عام 2001، حدّد خامنئي «دعم الشعبين الفلسطيني واللبناني»، بأنه «من واجباتنا الإسلامية الكبرى».[15]

ومع أنه تم – في بعض الحالات – اعتبار بقاء إيران الفعلي أكثر أهمية من الاعتبارات الدينية (مثل ممارسة إيران ضبط النفس بشأن المسلمين في الاتحاد السوفيتي)، فقد فعل النظام الجديد كل ما بوسعه لتشجيع حزب الله في لبنـان والحركات الفلسطينية. كما أعلن النظام الجديد التزامه الأخوي القاطع «تجـاه

جميع المسلمين وتقديم الدعم السخي للمستضعفين في العالم».[16] ومن دون شك، ارتبطت لغة الخطاب "الثوري" الأخوي هذه بمسألة شرعية آية الله الخميني من حيث هو زعيم؛ فتبنيه المفرط لهويةٍ معارضة للشاه أثمر التشديد على هوية دينية مشتركة.

وقد عصفت أزمة رهائن السفارة الأمريكية بالعلاقات مع إدارتي [الرئيسين الأمريكيين] جيمي كارتر ورونالد ريغان، في عهد الخميني، فأضحت هذه العلاقات في وقت لاحق مقطوعة تقريباً. ومن الواضح أن خطف الموظفين الدبلوماسيين مثّل انتهاكاً قوياً لأبسط معايير الأعراف الدبلوماسية. وبما أنه كان ينظر إلى السلطات الإيرانية بأن لها صلة بعملية احتجاز الرهائن الأمريكيين عام 1983 في لبنان وأمكنة أخرى، فقد اتسعت الفجوة أكثر في العلاقة بين الولايات المتحدة وإيران.[17] وقد أثّر هذا التجميد للعلاقات الإيرانية – الأمريكية أيضاً في القضية النووية؛ حيث لم يعد لدى الدولة الإيرانية الوسائل التقنية التي تمكّنها من مواصلة أبحاثها النووية، بعد أن قام الغرب بقطع كل أشكال التعاون مع إيران في قطاع الطاقة النووية. وعلاوة على ذلك، تورّط النظام الإيراني في عهد الخميني في صراع عنيف مع العراق (1980–1988)، واستخدم خطاباً عسكرياً جداً، مما أثّر بالتالي في صورة إيران الذاتية.[18]

خطاب إدراك الذات من قبل الثورة

قد لا يمكن اعتبار سياسة حافة الهاوية الإيرانية والتزامها بالمبادئ الثورية أنها سياسة عقلانية إذا أُخذت في سياق المنطق المادي – كالأرباح والأمن –

على أساس أنها الأهداف الرئيسية والشاملة لمصلحة البلاد الوطنية. فمع أن العقوبات الغربية والهجوم العراقي كانا ناجمين في جانب كبير منهما عن الخوف من التطورات الإيرانية "المحفوفة بالأخطار"، فإن لغة الخطاب منحت قادة إيران الشرعيةَ المحلية، وأتاحت لهم بناء احترام الذات في الوقت الذي يجري فيه عزل إيران. وعلاوة على ذلك، سمح الخطاب أيضاً بالتواصل بين أعضاء حركة معارضة غير متجانسة جداً تضم القوميين، والماركسيين، والإسلاميين، تحت راية جامعة.[19] وخطاب إيران في هذا الوقت مستلهم معظمه من توصيفات ذاتية متغطرسة وقوية، على سبيل المثال:

> لا تخشوا شيئاً، لأنه ما من قوة يمكنها إيقاف هذا المدّ العظيم. إنكم على الصراط المستقيم، ويد الله تعالى معكم، وإنها لمشيئة الله أن يمُنَّ على الذين استُضعفوا في الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين...[20]

وقد بدأ الخميني الربط بين الشهادة ومفهوم التقية الإيرانية:

> إنها كما لو أن دماء شهدائنا كانت استمراراً لدماء شهداء كربلاء... تماماً كما أنهت الدماء الزكية حكم يزيد الاستبدادي، كذلك أنهى دم شهدائنا في كربلاء نظامَ الشاه البهلوي الاستبدادي...[21]

وأسطورة معركة كربلاء «تشير إلى عام 680 ميلادي، حين اشتبكت مجموعات صغيرة من أتباع الحسين بن علي المخلصين مع جيوش الخليفة الحاكم يزيد، فقُتلوا وقطعت رؤوسهم».[22] وهكذا، كانت تغلب على الصور الذاتية مشاعر تتّسم بـ "التضحية" و"البطولة". وكانت الضحية البريئة في خطاب الخميني تمثَّل عموماً بالناس الذين تم تصويرهم بأنهم «مستضعفون»،

وأن «دماءهم سُفكت في هجوم غادر»، وأنهم «أناس محرومون»، و«جثثهم مكدسة بعضها فوق بعض». وتمت طمأنة البطل غالباً من قبل المعصوم آية الله الخميني الذي اختير لمساعدة «بلد محزون ليس له من يحميه».[23]

صور العدو

واستمر خطاب الخميني بتقديم صور متطرفة عن العدو (الشيطان الأكبر: الولايات المتحدة؛ والشيطان الأصغر: فرنسا*)، ومن ثم لا مجال للتفاوض. وقد أذكى التاريخ جزئياً تصوّر العداء الخارجي. فلإيران تاريخ طويل من التدخل الأجنبي فيها، مما أدى أخيراً إلى إثارة الشك العميق الجذور بـ "الآخر الأجنبي". وفي النصف الأول من القرن العشرين، كانت إيران هدفاً للتنافس في مجال القوة بين روسيا وبريطانيا. فقد تمت إطاحة رئيس الوزراء [الإيراني] محمد مصدّق عام 1953 بعملية قادتها وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية وجهاز الاستخبارات البريطاني MI6. ولذلك، من المفهوم أن المشاعر المناهضة للغرب كانت متبادلة على نطاق واسع في المجتمع الإيراني، بغض النظر عن الطبقة والدين.

وتعدّ الهوية الثورية المناهضة للغرب جوهر خطاب السياسة الخارجية في إيران، الذي تتمحور حوله رموز ولحظات بوصفها سلاسل خطاب متماسكة.[24] قبل كل شيء، كانت هناك فكرة وجود مؤامرة خارجية تقودها

* هكذا وردت وفق رأي المؤلف، في حين أن من المعروف أن الثوريين الإيرانيين يطلقون تسمية "الشيطان الأصغر" على إسرائيل، وأحياناً على المملكة المتحدة. (المحرر)

الولايات المتحدة الأمريكية ضد إيران. وفي سياق أزمة الرهائن الأمريكية، كتبت صحيفة إيرانية:

في هذه الأيام، حين شنّ قائد الثورة أقوى الهجمات ضد أشرس الإمبرياليين في العالم بقيادة الولايات المتحدة، بينما كانت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وحلفاؤهما يحيكون المؤامرات ضد شعبنا ويواجهون الثورة كل يوم، كنت أنت، يا سيد [مهدي] بازركان، تجلس وتتحدث مع بريجنسكي في الجزائر.[25]

وفي هذا الصدد، يمكن النظر أيضاً إلى احتجاز الرهائن على أنه انتقام من "الإمبرياليين الأمريكيين" بوصفه نتيجة منطقية للخطاب بهدف منع حدوث مزيد من التدخلات الأجنبية. أضف إلى ذلك أنه في تلك اللحظة من الزمن بالذات، كان هذا العمل "مفيداً" أيضاً لتشويه سمعة رئيس الوزراء الإيراني [مهدي بازركان] الأكثر اعتدالاً. وصوّرَ الخميني إسرائيل والغرب بأنهم منحرفون وحيوانات لأنهم لا يهتمون إلا بالربح وتخلو قلوبهم من أي شفقة تجاه غيرهم من البشر. ويمكننا رؤية التناقضات الحادة بين الذات "النقية" و"الآخر" الفاسد والمنحرف في بيان الخميني التالي، بتاريخ 3 نوفمبر 1979:

لا تختص الحركة في إيران بها وحدها، لأن الإسلام لا يختص بمجموعة دون غيرها. فقد جاء الإسلام للبشرية وليس للمسلمين وحدهم أو لإيران وحدها. وبُعث الأنبياء ونبي الإسلام إلى البشرية جمعاء. لقد دعوا الناس بـ «يا أيها الناس» ونحن - الذين أحدثنا هذه الحركة - فعلنا ذلك من أجل جمهورية إسلامية. فلا يمكن لحركة من أجل الإسلام أن تتصل ببلد واحد ولا حتى بجميع الدول الإسلامية. فالإسلام هو، في الواقع، حركة تتبع الأنبياء.

جاء نبينا الكريم من السعودية ولكن دعوته لا تخص السعودية وحدها، بل هي تخص العالم بأسره. فالإنسان مخلوق يكون في البداية كالحيوان، وإذا نما وسما، يصبح مخلوقاً روحياً، يصبح أسمى من ملائكة الله؛ ولكنه إذا ضلّ السبيل، يصبح مخلوقاً أحطّ من كل الحيوانات.

إنكم ترون الآن هؤلاء الناس الذين يدّعون أنهم إنسانيون وأنهم يدعمون البشر والحيوانات، ولكني لا أعتقد أنكم ستجدون حيواناً من بين كل الحيوانات أكثر وحشية مما هم عليه. إنهم مخلوقات تريد قتل الملايين من البشر تنفيذاً لمآربهم الخاصة. حتى لو كان الحيوان من آكلي اللحوم، تراه لا يقتل أكثر مما يملأ معدته. وحين يشبع، يترك الحيوانات الأخرى وشأنها. ولكن أولئك الناس مستعدون لقتل جموع من البشر من أجل ربح صغير فحسب.

أما أولئك الذين لا يسعون لتنفيذ مآربهم، أو على الأقل لا يعملون لتغليب مصالحهم، فلا يمكن اعتبار وجودهم غير مهم. وللأسف، هناك أناس يعيشون وسط المجتمعات المسلمة والشرقية نفسها، في بلادكم، يصدّقون كلامهم ويقولون: «الشرق متخلّف من وجهة نظر الفكر»، أو من الذين لا يصدقونهم ولكنهم يعملون لمصلحتهم. يجب علينا أن نسميهم خونة. إنهم يصوغون هذه الكلمات وسط مجتمعهم. ووسائل الإعلام الأمريكية، ووسائل الإعلام التي تقع ضمن دائرة نفوذ الصهيونية مباشرة، تعبّر عن ذلك.[26]

والشخصية الأخيرة في هذا الخطاب كانت شخصية "الخائن"؛ أي نظام بهلوي الذي عُدّ تجسيداً لنظام يزيد. وكانت التسميات التي أُطلقت على نظام بهلوي خالية من الغموض عند التأكيد على حالة تراخيه الأخلاقي المتصوَّر، مثل "مجرم"، و"خائن"، و"حقير" و"فاسد" و"مستبد"؛ كما كانت منتشرة في عبارات من قبيل: «تمكن رؤية أيدي القوى العظمى الفاسدة تخرج من أكمام جزاري الشاه وتذبح المسلمين الأحبة».

سياسة وصم النظام الإيراني الجديد التي تتبعها الولايات المتحدة

يمكن القول بأن إيران بين عامي 1979 و1989 عُزلت تقريباً من قبل المجتمع الدولي. وعلاوة على ذلك، أصيبت بصدمة شديدة من الحرب مع العراق (1980–1988) التي خلّفت مليون ضحية وساهمت في خلق ثقافة حقيقية أيضاً هي ثقافة الحرب، ومن المحتمل جداً أن يكون محمود أحمدي نجاد نفسه، الذي أصبح رئيساً لاحقاً، شارك في أعمال تعذيب آنذاك.[27] فإذا تمعّنا الآن في السياسات الأمريكية الموازية المتعلقة بإيران، نكتشف أن الرئيس كارتر وإدارته كانا ينتهكان أبسط مبادئ الاعتراف بدولة ذات سيادة.

وفي نوفمبر 1977، أطلق كارتر على إيران مصطلح «جزيرة استقرار في إحدى أشد المناطق اضطراباً في العالم»، وذلك حين كانت المظاهرات ضد الشاه تتعرض للقمع العنيف. وقد شهدت هذه المظاهرات تطوراً كبير منذ أكتوبر 1977. [28] وبعد ذلك، اتخذ كارتر، بعد مداولات طويلة، قراره المصيري بالسماح للشاه بدخول الولايات المتحدة لإنقاذ حياته بتلقي العلاج الطبي في نوفمبر 1979، بعد ضغوط من هنري كيسنجر وديفيد روكفلر والشخصيات السياسية الأخرى الموالية للشاه. وغذّى هذا شكَّ إيران في أن الشاه كان يحاول في الواقع التآمر على الثورة الإيرانية. وفي الحقيقة، كان رد الفعل هذا متوقعاً من قبل كثير من الدبلوماسيين الأمريكيين؛ ففي 4 نوفمبر 1979، اقتُحمت السفارة الأمريكية، وأُخذ 66 دبلوماسياً منها رهائن.[29]

ومنذ ذلك الحين، حتى في عهد ريغان، لم تُعطَ إيران الفرصة للاندماج مرة أخرى في "محفل الأمم" concert of nations. فقد قطع كارتر جميع

الاتصالات الدبلوماسية، وأوقف استيراد النفط، وطرد الإيرانيين من الولايات المتحدة، وجمّد الأصول الإيرانية والولاء للشاه. وبأخذ هذه الأمور مجتمعة، لم يترك تَعامل الولايات المتحدة مع نظام الخميني للإيرانيين أي خيار آخر تقريباً سوى بناء خطاب يصوّرون "الآخر الحقود" فيه بأنه عدو لدود للشعب الإيراني ونظامه. وأخيراً، سمحت صورة العدو القوية هذه بتعزيز هوية اجتماعية إيجابية.[30]

فترة الانفراج (1989-2002)

فاتحة جديدة

أعقب ما سبق، في نهاية المطاف، فترة من الانفراج، وشهدت السياسات الإيرانية تحولاً كبيراً، وخصوصاً في أثناء الفترة الثانية من إدارة الرئيس بيل كلينتون (1996-2000). وقد جسّد هذا الاتجاه الجديد، على وجه الخصوص، الرئيس الإيراني محمد خاتمي؛ إذ خفّت وتيرة النشاطات الثورية الإيرانية كثيراً وانخرطت السلطات الإيرانية في التوسط في أزمة الرهائن الغربيين في لبنان عام 1983، وأعربت عن استعداد جديد للتفاوض مع الولايات المتحدة الأمريكية. وبصفة خاصة، دانت إيران بشدة هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001، وتعاونت أيضاً في ما يتعلق بتشكيل حكومة أفغانية جديدة. وبقيت نقطة الضعف الأهم في هذه العلاقة الجديدة سياسة إيران النووية. فقد كشف قادة المعارضة أن لدى إيران موقعين نوويين يجري فيهما تخصيب اليورانيوم. ولكن كل المؤشرات عام 2002 دلت على أن إيران مستعدة للامتثال لسلطات الوكالة الدولية للطاقة الذرية ورئيسها [آنذاك] محمد البرادعي.

الخطاب الجديد

كان أهم تغيير في الخطاب الإيراني هو الاختلاف الواضح في تصوير الولايات المتحدة الأمريكية. فقد أضحى العدو الأصلي خصماً سياسياً توجد بعض المصالح المشتركة معه. وكان الدفاع عن هذا التأطير الجديد لـ "الآخر" يتم بشكل خاص من قبل محمد خاتمي، الذي أكّد في بيانه أمام اجتماع الدورة الثالثة والخمسين للجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، في 21 سبتمبر 1998، أن:

> الحلم بعالم أحادي القطبية تحكمه قوة عظمى منفردة ليس إلا ضرباً من الوهم يدلّ على فشل أصحابه في مواكبة التاريخ. وأنا على ثقة بأن الدول القوية، كالشعب الأمريكي مثلاً، لن تقبل استغلال سمعتها الطيبة، وإمكانياتها، ومكانتها الوطنية، من أجل تحقيق الحلم بعالم أحادي القطبية من قبل سياسيين مدفوعين بالمادية القصيرة النظر والمصالح الفئوية لقلة قليلة. وما تطور الرأي العام في الغرب دعماً لعلاقات سلمية تقوم على أساس الاحترام المتبادل إلا دليل على هذه الحقيقة.[31]

ولعلها كانت المرة الأولى، منذ تولي النظام الجديد مقاليد السلطة [في إيران]، أن يُبدي رئيس [إيراني] وجهة نظر مختلفة حيال الشعب الأمريكي وحكومته، لا بل ويعزو دوافع "جيدة" إلى بعض جهاته الفاعلة. وقد شكّلت تلك اللحظة خطوة مهمة رمزياً في تطوير العلاقات الأمريكية – الإيرانية، على الرغم من حقيقة أن الصور الذاتية كانت لاتزال متغطرسة جداً:

> اسمحوا لي أن أتكلم هنا بوصفي رجلاً من الشرق، أصل الحضارات الرائعة والمكان الذي شهد ولادة أنبياء الله: إبراهيم وموسى وعيسى

ومحمد (عليهم السلام أجمعين). لقد جئت من أرض إيران الشريفة، التي تمثل أمة عظيمة وشهيرة، أمة تشتهر بحضارتها القديمة قدم التاريخ، بالإضافة إلى مساهمتها المتميزة في تأسيس وانتشار الحضارة الإسلامية؛ أمة نجت من رياح الاستبداد والرجعية والخنوع العاتية، باعتمادها على ثرواتها الثقافية والإنسانية؛ أمة كانت الرائدة في الشرق بإقامة المجتمع المدني والحكومة الدستورية في سياق تاريخها المعاصر، على الرغم من التدخل الأجنبي وأوجه النقص المحلية.[32]

ولكنه أضاف بعض الاختلافات الواضحة "الرمادية" إلى الصورة العظيمة للأمة الإيرانية:

... قد تكون مسيرتها تعثّرتْ في بعض الأحيان؛ إنها أمة كانت في طليعة النضال من أجل الاستقلال وضد الاستعمار، على الرغم من أن حركتها الوطنية تعرضت للتخريب من قبل انقلاب خارجي مدبّر.[33]

ومع ذلك، كان التحول في الخطاب كبيراً. فهذا التقديم الأكثر "انفتاحاً" ترك فسحة أكبر للتعاون مع الغرب:

كان من بين أجدر إنجازات هذا القرن قبول ضرورة الحوار ونبذ استخدام القوة وأهميتها، وتعزيز التفاهم في المجالات الثقافية والاقتصادية والسياسية، وتمتين أسس الحرية والعدل وحقوق الإنسان. أما إرساء أسس اللطف وتعزيزها، سواء على المستوى الوطني أو الدولي، فيعدّ رهناً بالحوار بين المجتمعات والحضارات التي تمثل شتى الآراء والميول والأساليب.[34]

وفي مقابلة مازالت أهميتها واضحة جداً، مع شبكة CNN الإخبارية، بتاريخ 7 يناير 1998، ألحّ الرئيس الإيراني على ضرورة الحوار بين الحضارات:

الحضارة الأمريكية جديرة بالاحترام. وحين نقدّر جذور هذه الحضارة حق قدرها، تصبح أهميتها أكثر جلاءً. فكما تعلمون، توجد في بليموث بولاية ماساشوستس صخرة تحظى بالاحترام والتبجيل من قبل جميع الأمريكيين... ولهذا السبب أقول إنني أحترم الأمة الأمريكية لحضارتها العظيمة. ومردّ هذا الاحترام سببان: جوهر الحضارة الأنجلو-أمريكية، والحوار بين الحضارات وركائزهما. أنتم تدركون التراث العظيم للأمة الإيرانية وحضارتها وثقافتها المجيدتين؛ فالحضارة الإيرانية المجيدة كانت متزامنة مع دولة المدينة اليونانية والإمبراطورية الرومانية... وفي ما يتعلق بالحوار بين الحضارات، نحن نعتزم الاستفادة من إنجازات جميع الحضارات الغربية وغير الغربية وخبراتها، ومن إقامة حوار معها. فكلما تقاربت ركائز هذه الحضارات وروحياتها، غدا الحوار أسهل. ومع ثورتنا، نشهد مرحلة جديدة من إعادة بناء الحضارة. وينتابنا شعور بأن ما نسعى له هو ما كان يسعى له مؤسسو الحضارة الأمريكية أيضاً منذ أربعة قرون. وهذا هو السبب في أننا نشعر بألفة فكرية مع جوهر الحضارة الأمريكية.[35]

سياسة الاعتراف التي اتبعتها أولبرايت تجاه إيران

لم تكن السياسة والخطاب الجديدان في إيران ممكنين في هذا الوقت لولا قيام الولايات المتحدة الأمريكية نفسها بإعادة تأطير صورتها عن إيران. وكانت وزيرة الخارجية الأمريكية، مادلين أولبرايت، هي من بدأ سياسة الاعتراف. وفي هذا الصدد، حدثت في خلال الفترة الثانية من ولاية بيل كلينتون تغييرات مهمة في العلاقات الأمريكية - الإيرانية. فقد اقترح كلينتون إقامة علاقات طبيعية مع إيران، وأظهر نفسه أنه لم يعد يعارض مدّ خط أنابيب مفترض لنقل الغاز بين آسيا الوسطى وإيران.[36] والأهم أنه قدّر مساهمة إيران التاريخية بالحضارة، ومن ثمّ اعترف بمكانتها. ففي 29 يناير 1998، أعلن الرئيس الأمريكي:

إلى الشعب الإيراني، أودّ أن أقول إن الولايات المتحدة تأسف للجفاء بين بلدينا؛ فإيران بلد مهم ذو تراث ثقافي غني وقديم يفخر الإيرانيون به؛ وحُقّ لهم ذلك. لدينا خلافات حقيقية مع بعض السياسات الإيرانية، ولكنني لا أعتقد أنه يصعب التغلب عليها.[37]

وأخيراً، وفي خطوة لافتة، عرضت أولبرايت حتى الاعتراف «بالظلم التي ألحقته الولايات المتحدة الأمريكية بإيران» في الماضي.[38] واعترفت بأن الولايات المتحدة «أدت دوراً مهماً في تنسيق إطاحة مصدق وحكومة الشاه».[39] وعلاوة على ذلك، أعقبت أيضاً هذا الاعتراف الرمزي الذي حصل بحكم الأمر الواقع إجراءات متنوعة، حيث أزالت الولاياتُ المتحدة إيرانَ من قائمة "الدول المارقة"، ورُفع الحظر عن استيراد السجاد، والفستق الحلبي، والفواكه المجففة، والكافيار. وصعّبَ التأطير الأمريكي الجديد لإيران على صانعي القرار لديها الحفاظ على صورة عدو عنيد لا يمكن التعامل معه إلا بالقضاء عليه. وعلاوة على ذلك، قلّلَ اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية الجزئي ضرورة فرض إدراك الذات من خلال كراهية "الآخر".

عودة إلى المستقبل: الأزمة الجديدة (2005-2008)

إحياء الثورة

أعقب الانفراج النسبي في هذه الفترة أخيراً تدهور جديد في العلاقات عام 2005 مع تولي محمود أحمدي نجاد رئاسة إيران، مما أحدث تغييرات كبيرة في مجالات عديدة من علاقات إيران الدولية. ومع ما يحمله الأمر من

قيمة رمزية كبيرة، تميزت بداية الرئاسة الجديدة بتجديد كلي لعديد من موظفي السفارات الإيرانية، وزاد عدد السفراء الذين تم استبدالهم أو استدعاؤهم إلى طهران على 40 سفيراً.[40] وعلاوة على ذلك، ظهر هناك تغيير في اللهجة المتعلقة بالدول الأخرى، وأعيد إحياء الخطاب الثوري، وحدثت انتقادات أحمدي نجاد اللاذعة المعادية لإسرائيل ووصلت إلى حدّ التشكيك في حقيقة المحرقة اليهودية [الهولوكوست] (حتى إنه قام بتنظيم ندوات مع دعاة مراجعة التاريخ من أمثال روبرت فوريسون Robert Faurisson).

واللافت أكثر إعلان حق إيران صراحة في أن تصبح قوة نووية، وإن كان بشيء من الغموض. وبتأكيد هذه الطموحات في مجال السياسة، استغل المسؤولون الإيرانيون الروح القومية الإيرانية الحالية واعتزاز كثير من الإيرانيين بتاريخ بلدهم، حتى أولئك الذين يعارضون النظام الإسلامي منهم، وطالبوا باستمرار إيران في برنامجها النووي. ويمكننا الكشف عن خطاب ثوري راسخ الجذور يصف «مؤامرة من جانب القوى الغربية لحرمان إيران، أو منعها، من الحصول على التقنيات المتقدمة والإبقاء على إيران متخلفة تعتمد على الغرب» (وفق الباحث الإيراني صادق زيباكلام)، وهذا هو ما يمكن أن يفسر المطالبات العامة في إيران بتطوير التقنيات النووية. وهكذا، أعلنت السلطات الإيرانية في يناير 2006 أخيراً تخصيب اليورانيوم. وبحلول 28 نوفمبر 2009، كانت إيران قد قررت بناء 10 منشآت لتخصيب اليورانيوم على نطاق صناعي، وهو توسع مثير في البرنامج ينطوي على تحدٍّ للأمم المتحدة، الأمر الذي أسفر عن تأجيل المحادثات النووية جميعها.

ومنذ ذلك الحين، كانت العلاقات بين إيران ودول الخليج العربية هي العلاقات التي تحسّنت على الساحة الدولية. ففي مارس 2006، زار أحمدي نجاد دولة الكويت، وكانت المرة الأولى التي يزورها فيها رئيس إيراني منذ 25 عاماً. وربما كانت هذه الخطوة تكتيكية، لمنع تشكيل ائتلاف دولي أكبر متّحد ضد إيران نووية. كذلك تضاعفت نشاطات إيران الثورية مع مساعدات بلغ مجموعها 250 مليون دولار أمريكي قدمتها إيران لحركة حماس الفلسطينية تعويضاً لها عن المقاطعة الغربية، بالإضافة إلى التزام إيران دفع رواتب موظفي السلطة الفلسطينية البالغ عددهم 100 ألف موظف لمدة ستة أشهر.[41] وترافقَ إحياء الثورة بخطاب مانَوَي* متجدد، وطوّرت لغة الخطاب من جديد إلى خطاب أشبه بكلام الذين يعانون جنون الاضطهاد.

خطاب جنون الاضطهاد

في الواقع، يمكن للمرء منذ عام 2003 أن يصف إيران رسمياً بأنها دولة مطوَّقة، حيث تتمركز القوات الأمريكية في أفغانستان والعراق.[42] وفي موازاة ذلك، وبخاصة بعد عام 2002، جرى الترويج لصور العدو والصور الذاتية المتضخمة على نطاق واسع في إيران. فعلى سبيل المثال، في أثناء صلوات الجمعة في طهران (التي تشكّل تقليدياً محطة يجتمع فيها قادة المحافظين)، تجلس جموع المصلين لساعات تستمع إلى خُطب دينية تتحوّل أخيراً إلى هتافات "الموت لأمريكا"، أو "الموت لإسرائيل"، أو "الطاقة النووية حقنا المطلق!".[43] وفي خطاب آية الله خامنئي بتاريخ 12 مايو 2009 (في إقليم

* أي خطاب يقوم على ثنائية حدّية ومتقابلة بين الخير والشر. (المحرر)

كردستان) استخدم مصطلح "العدو" 16 مرة، وغالباً ما أشار إلى الأعداء بالجبناء، قائلاً: «للأسف، بعض الأصدقاء غير العادلين، وأولئك الذين هم جزء من الأمة ويتوقعون من الناس الاهتمام بهم، ناكرون للجميل ويتحدثون ضد البلد ويكرّرون الأكاذيب عن الأعداء».[44]

الصورة الذاتية المتغطرسة

في عهد أحمدي نجاد، يمكننا أن نتلمّس بوضوح شعوراً متجدداً بالاعتزاز القومي. ويمكن للمرء القول إن هذا الاعتزاز وطلب العظمة القومية لم يكونا بطرق معينة متوافقين مع نظام عدم انتشار الأسلحة النووية، الذي كان من المتوقع أن يخضع لإرادة القوى الأخرى. وبناءً عليه، يمكن تعليل رفض إيران الامتثال لأحكام نظام عدم الانتشار بالشعور بأنها تمثّل انتهاكاً لسيادتها. ويفسر جاك هايانز Jacques Hymans هذا الأمر بأنه مثال نموذجي على «القومية الاستعراضية»، حيث يكون القادة حساسين جداً للحقوق القومية والاستقلالية، في حين أنهم لا يفكرون جدياً، في الواقع، في تجهيز أنفسهم بقوة ردع نووية.[45]

وكذلك ثمة مؤشرات كثيرة على أن النظام الإيراني يستخدم المسألة النووية بالفعل أداة لتحسين المكانة الوطنية والدولية. فالدبلوماسيون الأوروبيون يعلمون أن المفاوضين الإيرانيين يحنّون في أحيان كثيرة إلى ماضيهم التليد في بلاد فارس، ويتحسرون على عدم احترام إيران في الزمن المعاصر، ويعبّرون عن حزنهم لقيام الغرب بمساعدة نظام الشاه الاستبدادي. فحين أعلن أحمدي نجاد أن إيران أصبحت دولة نووية، بدت

الرسالة واضحة؛ أي أننا مهمّون، وإذا كنتم لا تؤمنون بذلك فسوف نفرض الاعتراف بنا بقوة السلاح. وبناءً عليه، أكد وزير الخارجية الإيراني، كمال خرازي، في يناير 2004، أن:

> تجربة إيران أثبتت أن العقوبات والقيود والعوائق والعراقيل التي لا مبرر لها، التي تنكر حقوق الدول الأعضاء في معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، تعدّ مضادة لعملية الشفافية والتعاون المطلوبة في ظل نظام عدم انتشار الأسلحة النووية... فلولا شدة المعوّقات، لكانت إيران سعت لممارسة جميع نشاطاتها النووية القانونية كلياً بشفافية أكمل وبالتعاون مع زملاء آخرين من الدول الأعضاء، كما كان دأبها دائماً.[46]

تنديد أمريكي متجدد

مازال من الجدير بالذكر أنه منذ عام 1979 لم تُقِم إيران علاقات طبيعية مع الولايات المتحدة مطلقاً. فإذا أشرنا إلى قوة إيران المحتملة، نجد فجوة واضحة في ما يتعلق بوضعها من حيث المسؤولية الممكنة. فهي تساهم بنحو 1٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، ويبلغ نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي فيها 13,000 دولار أمريكي، وفق تقديرات عام 2010. وتشغل إيران المرتبة 21 اقتصادياً، وفقاً لتصنيفات الناتج المحلي الإجمالي.[47] وفي ما يتعلق بعدد السكان، تحتل البلاد المرتبة 18 عالمياً من حيث عدد السكان، بـ 75 مليون نسمة. ومع ذلك، لايزال موقع إيران الدولي ضعيفاً. ففي الواقع، لم يجرِ انتخاب إيران إلى مجلس الأمن إلا مرة واحدة فقط (1955–1956). وعند التمعّن في العلاقات الثنائية، يصبح هذا التمييز أشد وضوحاً. وينبغي ألا يغيب عن البال أنه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تعاونت إيران

في الواقع مع الولايات المتحدة، حتى في العمليات العسكرية في أفغانستان. ولكن خطاب "محور الشر" ألحق الضرر بأي فرصة ممكنة لتعزيز التعاون أو تحسين العلاقات الثنائية، لأنها زادت تشدد الخطاب السياسي الإيراني ضد الأمريكيين.[48] حتى الرئيس باراك أوباما نفسه لم يتخلّ تماماً عن لغة التنديد والإجراءات المتعلقة بها. وكذلك تدهورت العلاقات مع بريطانيا بالقدر نفسه بعد أن قررت إيران في 26 نوفمبر 2011 تقليص العلاقات الدبلوماسية مع لندن، وطرد السفير البريطاني من طهران. ومن المعروف جيداً أن النخب الإيرانية شعرت بالإهانة في الصميم من ضمّها إلى "محور الشر". وبعد الحادي عشر من سبتمبر، تميّزت إيران بوجود مسرحين للحرب مجاورين لها؛ واحد في الشرق [أفغانستان]، وآخر في الغرب [العراق].

تصدّعات الكيان الإيراني؟ فترة أوباما

استمرارية سياسة حافة الهاوية الإيرانية، وخطاب إدراك الذات، والنزاعات الداخلية

يعدّ حديث إيران المستمر عن المؤامرة حقيقة واضحة تماماً، ويمثل فكرة راسخة الجذور لدى المجتمع الإيراني.[49] واللافت هو أنه بعد انتخابات عام 2009، التي تعدّ موضع خلاف، تم حشد نظريات المؤامرة عموماً من قبل نظام هشّ جداً، ومن قبل وزير الخارجية الإيراني، منوشهر متكي، بشكل خاص.[50] وكانت الكراهية موجهة أساساً ضد "الشيطان الأكبر" (الولايات

المتحدة)، التي تم «تعريفها بأنها العقبة الكأداء أمام عودة ظهور الإمام الغائب».[51]

وقد اشتكى قادة إيران مراراً من عدم الاحترام. فبتاريخ 7 فبراير 2009، بينما كان رئيس مجلس الشورى الإيراني، علي لاريجاني، يحضر مؤتمر ميونيخ للأمن، أفادت صحيفة **طهران تايمز** *Tehran Times* أنه قال: «ينبغي على الغرب أن يفهم أن الشعب الإيراني ليس أمة من الدرجة الثانية».[52] وبالمثل، قال أحمدي نجاد (في 10 فبراير 2009) إن «إيران مستعدة لإجراء محادثات مباشرة مع الولايات المتحدة»، لكن فقط في حال وجود «احترام متبادل». وفي خلال هذه الفترة، عزّز النظام الإيراني التدابير الأمنية ضد ما يسمى بـ "الجواسيس". ومع ذلك، كما نعرف الآن، في أعقاب انتخابات عام 2009، فقدَ ذلك الخطاب كثيراً من قوته التعبوية على الرأي العام الإيراني. وهكذا، حين شجّع المسؤولون الجماهير في صلاة الجمعة ليهتفوا "الموت لبريطانيا" استجابت الجماهير بالهتاف "الموت لروسيا".

سياسة الاعتراف المتأنية لدى أوباما

يمكن للمرء أن يفترض أن التغيير الذي استحدثه أوباما في نمط السياسة الأمريكية كانت له تداعيات كبرى على الانتخابات الرئاسية في إيران عامي 2009 و2013. والأهم أن دعاية المؤامرة الإيرانية المعتادة المعادية للولايات المتحدة فقدت كثيراً من قوتها التعبوية الأساسية، وتدنّت قدرتها على توليد الدعم للحكومة الإيرانية. وهكذا، أعرب نائب الرئيس الأمريكي جوزيف بايدن، في مؤتمر ميونيخ للأمن 2009، عن استعداده «لإجراء

محادثات مع إيران، وتقديم شيء واضح جداً: واصلوا السير في مساركم الحالي وسيكون هناك ضغط وعزلة؛ تخلوا عن برنامجكم النووي غير المشروع ودعمكم للإرهاب وستكون هناك حوافز ذات مغزى». ولكن الأهم من ذلك أنه أشار إلى الشعب الإيراني بأنه "شعب عظيم"، ووصف "الحضارة الفارسية" بأنها "حضارة عظيمة". وفي الوقت نفسه، مضى خطاب أوباما الشهير في القاهرة، بتاريخ 4 يونيو 2009، أبعد من ذلك باعترافه أن الولايات المتحدة أدت دوراً مهماً في الانقلاب ضد الحكومة الإيرانية المنتخبة ديمقراطياً [حكومة مصدق عام 1953]؛ حتى إنه كتب رسالتين شخصيتين إلى خامنئي. وفي عام 2010، عادت الولايات المتحدة إلى سياستها القائمة على فرض العقوبات، ولكن السياسة الأمريكية كانت دقيقة بما فيه الكفاية بحيث تمكنت من تجنب استفزاز إيران. على سبيل المثال، مُنعت حليفتها إسرائيل في مناسبات عديدة من استخدام القوة.

خاتمة

شكّل انتخاب الرئيس الجديد المعتدل حسن روحاني، في 14 يونيو 2013، بنسبة 50.7٪ من الأصوات، مفاجأة لكثير من المحللين. ومع أنه من رجال الدين [مُعمَّم] ويعتمد بشدة على المرشد علي خامنئي، فإنه انتقد علناً عام 2009 التدابير القمعية المتخذة بعد الانتخابات المتنازع عليها، ومن ثم يمكن أن ينظر إليه على أنه أكثر انفتاحاً على الحوار بشكل واضح من معارضيه. ففي أثناء الحملة الانتخابية عام 2013، حظي بتأييد الرئيسين السابقين هاشمي رفسنجاني ومحمد خاتمي. وتجدر الإشارة إلى الطريقة التي حدث بها هذا الاتجاه الجديد في الرأي الإيراني عن الغرب، إذ يعتقد بعض

المراقبين أن التغيير مرتبط بعوامل اقتصادية مثل تدهور مستويات المعيشة الإيرانية في أثناء رئاسة أحمدي نجاد والعقوبات الاقتصادية الدولية.[53] وفي الواقع، حدّت العقوبات التي تفرضها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي من صادرات النفط الإيراني. وعلاوة على ذلك، عززت الولايات المتحدة العقوبات ضد إيران قبيل الانتخابات[54] لتحقيق «مزيد من إضعاف عملة البلاد المنخفضة القيمة أصلاً، والإخلال الجدّي بصناعة السيارات التي تعد مصدر توظيف محلي مهماً ومولّداً للإيرادات للحكومة الإيرانية».

ولكن، على النقيض من الحصار الذي كان مفروضاً على العراق، لم يكن أذى العقوبات يصيب حديثي الولادة والأطفال. وعلاوة على ذلك، حتى المعارضة الداخلية في البلاد تتهم أحمدي نجاد «بأشد درجات الفساد منذ ثورة 1979»، وتتّهمه بـ «سوء الإدارة الاقتصادية، مما أدى إلى ارتفاع معدلات التضخم والبطالة، بالإضافة إلى حدوث انهيار لم يسبق له مثيل للعملة الإيرانية، الريال».[55]

وهكذا، كما أوضحنا آنفاً، ليست سياسة حافة الهاوية الخارجية الإيرانية متأصلة في نوع من السمة الثقافية، كما يفترض بعض الباحثين، ولكن في خطاب يتأثر إلى حدّ كبير بـ "الآخر" المهم، الذي تمثّله في هذه الحالة الولايات المتحدة الأمريكية. وأخيراً، نرى أن التنديد بإيران كان له تأثير النبوءة المحقِّقة لذاتها، وأن تخفيف التنديد يمكن، من ثم، أن يعزّز الخطاب البديل المفضي إلى سياسة إيرانية أكثر مرونة.

الهوامش

1. انظر:

David Patrikarakos, *Nuclear Iran* (New York, NY: Palgrave Macmillan, 2012); Robert Jervis, *Why Intelligence Fails: Lessons from the Iranian Revolution and the Iraq War* (Ithaca: Cornell University Press, 2010); Ali M. Ansari, *Crisis of Authority* (London: Chatham House, 2010); Mehran Kamrava, *Iran's Intellectual Revolution* (Cambridge: Cambridge Middle East Studies, 2008); Ghani Jafar, "Iran: Unravelling the Global Nuclear Order," *Regional Studies*, vol. 24, no.4, (Autumn 2006), 3–75. See also the special Iran number of *Middle East Policy*, vol. 15, no. 1 (Spring 2008), 1–59.

2. انظر:

Khan Seira, *Iran and Nuclear Weapons. Protracted Conflict and Proliferation* (London: Routledge, 2010); Maqsudul Hasan Nuri, "Nuclear Iran: Regional Implications," *IPRI Journal*, no. 2 (2006), 15–35; Jahangir Amuzegar, "Nuclear Iran: Perils and Prospects," *Middle East Policy*, vol. 13, no. 2 (2006), 90–112.

3. لهذا التفسير، انظر:

Thomas Lindemann, *Causes of War* (Colchester: ECPR Press, 2010).

4. انظر:

Charles C. Mayer, *National Security to Nationalist Myth. Why Iran Wants Nuclear Weapons* (Kindle Edition: 2012), 35.

5. للاطلاع على وجهة النظر، انظر: Thomas Lindemann, op. cit., 17-43، وكذلك:

Alexander Wendt, *Social Theory of International Politics* (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1999), Chapter 3.

6. للاطلاع على نهج تتبّع العملية والتباين المشترك، انظر:

Alexander George and Andrew Bennett, *Case Studies and Theory Development in the Social Sciences* (Cambridge: The MIT Press, 2005).

7. انظر:

Erving Goffman, *The Presentation of Self in Every Day Life* (New York, NY: Peter Smith Inc., 1999).

8. انظر:

Thomas Lindemann, Erik Ringmar (ed.), *The International Politics of Recognition* (Boulder, CO: Paradigm Publishers, 2012); Iver B. Neumann, *Uses of the Other. The East in European Identity Formation* (Minneapolis, MN: University Of Minnesota Press, 1998).

9. انظر:

Mahdi Mohammad Nia, "Discourse and Identity in Iran's Foreign Policy," *Iranian Review of Foreign Affairs*, vol. 3, no.3 (Fall 2012), 29–64, 30.

10. انظر:

George Herbert Mead, Mind, *Self and Society* (Chicago, IL: Chicago University Press, 1934).

11. انظر:

Ruth Wodak, *The Discourse of Politics in Action. Politics as Usual* (London: Palgrave Macmillan, 2011), 126.

12. E. Goffman, op. cit.؛ وكذلك:

Howard Becker, *Outsiders. Studies in the Sociology of Deviance* (New York, NY: The Free Group Press, 1963).

13. انظر:

Carl Schmitt, *The Concept of the Political* (Chicago, IL: University of Chicago Press, 2007), 19–79.

14. انظر Thomas Lindemann, op. cit., 88-94.

15. انظر على سبيل المثال:

Gilles Riaux, *Ethnicité et nationalisme en Iran* (Paris: Karthala, 2012).

16. انظر:

Shadi Ghozilazadeh and Derek W. Hook, "The Discursive Construction of the 1978–1979 Iranian Revolution in the Speeches of Ayatollah," *Journal of Community and Applied Social Psychology*, vol. 22 (2012), 174–186.

17. انظر:

Garry Sick, *October Surprise. America's Hostages in Iran and the Election of Ronald Reagan* (London & New York: I.B. Tauris, 1991), Chapter 9.

18. انظر:

Efraim Karsh, *The Iran–Iraq War 1980–1988* (New York, NY: Osprey Publishing, 2002), 74–79.

19. انظر:

Judith S. Yaphe (ed.), *Nuclear Politics in Iran* (Washington, DC: National Defense University Press, 2010) especially the contribution of Bahman Baktiari.

20. آية الله الخميني، في كلمة ألقاها بتاريخ 11 أكتوبر 1978 في ذكرى الشهداء الأخيرة، 9 سبتمبر 1978، الجمعة الدامية، انظر:

Hamid Algar, *Islam and Revolution. Writings and Declarations of Imam Khomeini (1941–1980)* (New York, NY: The Mizan Press, 1981), 239–242.

21. آية الله الخميني، في كلمة ألقاها بتاريخ 15 يناير 1979؛ Hamid Algar, op. cit., 249-252.

22. Ibid.

23. لتحليل الخطاب، انظر:

Vladimir Propp, *Morphology of the Folktale* (Austin, TX: University of Texas Press, 1968).

24. للاطلاع على هذا التحليل، انظر:

Ernesto Laclau, *Chantal Mouffe, Hegemony and Socialist Strategy. Towards A Radical Democratic Politics* (New York, NY: Verso, 1985), 93–148.

25. انظر:

"Teheran Students Seize US Embassy and hold hostages," *New York Times*, November 5, 1979.

26. http://www.imamreza.net/eng/imamreza.php?id=4969&page=3

27. انظر:

Dilip Diro, *The Longest War. The Iran–Iraq Military Conflict* (London: Routledge, 1991), 40–71.

28. انظر:

"Why Carter Admitted the Shah," *New York Times*, May 17, 1981.

29. انظر:

Donette Murray, *US Foreign Policy and Iran* (London: Routledge, 2009), 22.

30. انظر:

Henri Tajfel (ed.) *Social Identity and Intergroup Relations* (Cambridge: Cambridge University Press, 2010).

31. انظر:

Statement before the 53rd Session of the United Nations General Assembly, New York, September 21, 1998; (http://www.un.int/iran/statements/other).

32. Ibid.

33. Ibid.

34. Ibid.

35. للاطلاع على تحليل لهذا الخطاب، انظر:

Mahdi Mohammad Nia, "Discourse and Identity in Iran's Foreign Policy," *Iranian Review of Foreign Affairs*, vol. 3, no. 3 (Fall 2012), 29–64.

36. Donnette Murray, op. cit., 106.

37. Ibid., 109.

38. انظر:

American-Iranian Council, March 17, 2000; (http://www.fas. org/news/iran/2000)..

39. Ibid.

40. انظر:

M.R. Djalili, "La politique étrangère de l'Iran à l'épreuve d'Ahmadinejad ," Caucaz Europnews, April 23, 2006; (http://www.caucaz.com).

41. Fars News Agency, December, 11, 2006.

42. انظر:

M.R. Djalili, "L'après Saddam: espérances et incertitudes irakiennes," *Politique étrangère*, Vol. 3, No. 4 (2003/2004).

43. انظر:

http://www.rferl.org/content/...Friday_Prayers_In_Iran/1778700.html

44. انظر:

Today's Top Stories, April 29, 2009; (http://www.youtube.com).

45. انظر:

Jacques E. C. Hymans, *The Psychology of Nuclear Proliferation* (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), 141–170.

46. Press Release DCF/43, United Nations, 29/01/2004.

47. انظر:

http://www.nationamaster.com/graph/eco_gdp_ppp_economy-gdp-ppp

48. انظر:

Liu Yongtao, "Discourse, Meanings and IR Studies. Taking the Rhetoric of 'Axis of Evil' As A Case," *Confines*, vol. 6 no. 11 (2010), 104; (web2.mty.itesm.mx/temporal/confines/articulos11/ Yongtaol.pdf.)

49. انظر:

N.C. Crook, "The Theater and Ballets Arts of Iran," *Middle East Journal*, vol. 2 (October 1946), 408.

50. Ansari, op. cit., 91.

51. Ibid., 95.

52. *The Tehran Times*, February 10, 2009.

53. انظر:

Security Council SC/20276, Resolution 1884; (http://www.un.org/News/Press/docs//2011//sc10276.doc.htm).

54. انظر:

http://www.nytimes.com/2013/06/04/world/middleeast/us-adds-to-its-list-of-sanctions-against-iran.html?_r=0

55. انظر:

Mehdi Khalajio, "Is Ahmadinjad the Scapegoat for Iran's Economy?" *Al-Monitor*, October 4, 2012; (http://www.washingtoninstitute.org).

56. وللاطلاع على تحليل جيد، انظر:

Simon Jenkins, "Whether it's North Korea or Iran, Sanctions Won't Work," *The Guardian*, February 13, 2013; Jonathan Steele, "In this Nuclear Standoff, it's the US that's the Rogue State," *The Guardian*, April 9, 2013.

المراجع

"Tehran Students Seize US Embassy and hold hostages." *New York Times*, November 5, 1979.

"Why Carter Admitted the Shah." *New York Times*, May 17, 1981.

Algar, Hamid. *Islam and Revolution. Writings and Declarations of Imam Khomeini 1941–1980* (New York, NY: The Mizan Press, 1981).

Amuzegar, Jahangir. "Nuclear Iran: Perils and Prospects." *Middle East Policy*, vol. 13, no. 2 (2006).

Ansari, Ali M. *Crisis of Authority* (London: Chatham House, 2010).

Becker, Howard. *Outsiders. Studies in the Sociology of Deviance* (New York, NY: The Free Group Press, 1963).

Crook, N.C. "The Theater and Ballets Arts of Iran." *Middle East Journal*, vol. 2 (October 1946).

Diro, Dilip. *The Longest War. The Iran–Iraq Military Conflict* (London: Routledge, 1991).

Djalili, M.R. "L'après Saddam: espérances et incertitudes irakiennes." *Politique étrangère*, vol. 3 no. 4 (2003/2004).

Djalili, M.R. "La politique étrangère de l'Iran à l'épreuve d'Ahmadinejad." *Caucaz Europnews*, April 23, 2006.

George, Alexander and Andrew Bennett. *Case Studies and Theory Development in the Social Sciences* (Cambridge: The MIT Press, 2005).

Goffman, Irving. *The Presentation of Self in Every Day Life* (New York, NY: Peter Smith Inc., 1999).

Ghozilazadeh, Shadi and Derek W. Hook. "The Discursive Construction of the 1978–1979 Iranian Revolution in the Speeches of Ayatollah." *Journal of Community and Applied Social Psychology*, vol. 22 (2012).

Hymans, Jacques E. *The Psychology of Nuclear Proliferation* (Cambridge: Cambridge University Press, 2006).

Iran number of *Middle East Policy*, vol. 15, no. 1 (Spring 2008).

Jafar, Ghani. "Iran: Unravelling the Global Nuclear Order." *Regional Studies*, vol. 24, no.4, (Autumn 2006).

Jenkins, Simon. "Whether it's North Korea or Iran, Sanctions Won't Work." *The Guardian*, February 13, 2013

Jervis, Robert. *Why Intelligence Fails: Lessons from the Iranian Revolution and the Iraq War* (Ithaca: Cornell University Press, 2010).

Kamrava, Mehran. *Iran's Intellectual Revolution* (Cambridge: Cambridge Middle East Studies, 2008).

Karsh, Efraim. *The Iran–Iraq War 1980–1988* (New York, NY: Osprey Publishing, 2002).

Khalajio, Mehdi. "Is Ahmadinjad the Scapegoat for Iran's Economy?" Al-Monitor, October 4, 2012; (http://www.washingtoninstitute.org).

Khan, Seira. *Iran and Nuclear Weapons. Protracted Conflict and Proliferation* (London: Routledge, 2010).

Laclau, Ernesto and Chantal Mouffe. *Hegemony and Socialist Strategy. Towards A Radical Democratic Politics* (New York, NY: Verso, 1985).

Lindemann, Thomas. *Causes of War* (Colchester: ECPR Press, 2010).

Lindemann, Thomas and Erik Ringmar (eds). *The International Politics of Recognition* (Boulder, CO: Paradigm Publisher, 2012).

Mayer, Charles C. *National Security to Nationalist Myth. Why Iran Wants Nuclear Weapons* (Kindle Edition: 2012).

Mead, George Herbert. *Mind, Self and Society* (Chicago, IL: Chicago University Press, 1934).

Murray, Donette. *US Foreign Policy and Iran* (London: Routledge, 2009).

Neumann, Iver B. *Uses of the Other. The East in European Identity Formation* (Minneapolis, MN: University Of Minnesota Press, 1998).

Nia, Mahdi Mohammad. "Discourse and Identity in Iran's Foreign Policy." *Iranian Review of Foreign Affairs,* vol. 3, no. 3 (Fall 2012).

Nuri, Maqsudul Hasan. "Nuclear Iran: Regional Implications." *IPRI Journal*, no. 2 (2006).

Patrikarakos, David. *Nuclear Iran* (Palgrave Macmillan, 2012).

Propp, Vladimir. *Morphology of the Folktale* (Austin, TX: University of Texas Press, 1968).

Riaux, Gilles. *Ethnicité et nationalisme en Iran* (Paris: Karthala, 2012).

Schmitt, Carl. *The Concept of the Political* (Chicago, IL: University of Chicago Press, 2007).

Sick, Garry. *October Surprise. America's Hostages in Iran and the Election of Ronald Reagan* (London & New York: I.B. Tauris, 1991).

Steele, Jonathan. "In this Nuclear Standoff, it's the US that's the Rogue State." *The Guardian*, April 9, 2013.

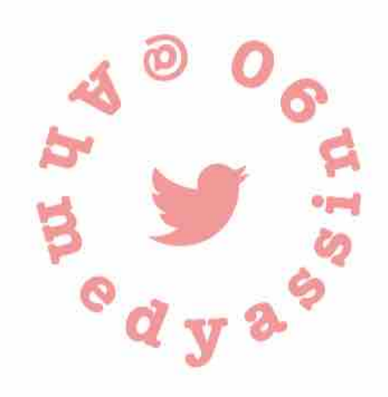
Tajfel, Henri (ed.). *Social Identity and Intergroup Relations* (Cambridge, Cambridge University Press, 2010).

Wendt, Alexander. *Social Theory of International Politics* (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1999).

Wodak, Ruth. *The Discourse of Politics in Action. Politics As Usual* (London: Palgrave Macmillan, 2011).

Yaphe, Judith S. (ed.). *Nuclear Politics in Iran* (Washington, DC: National Defense University Press, 2010).

Yongtao, Liu. "Discourse, Meanings and IR Studies. Taking the Rhetoric of 'Axis of Evil' As A Case." *Confines,* vol. 6 no. 11 (2010).

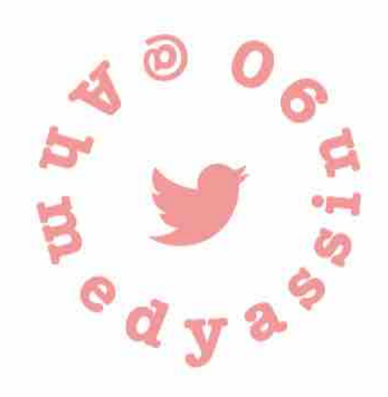

@Ahmedyassin90

نبذة عن المحاضر

توماس ليندمان؛ يعمل أستاذاً للعلـوم السياسـية في جامعـة فرسـاي سـان-كوينتين Université Versailles Saint-Quentin الفرنسية، وأسـتاذاً زائـراً في جامعة باريس الأولى-السوربون، ومعهد العلوم السياسية في باريس. وهو عضو أيضاً في "مجلس الرابطة الفرنسية للعلوم السياسية"، و"اللجنة الوطنية للبحوث العلمية" الفرنسية. وتركز اهتماماته البحثية على نظريات العلاقـات الدولية، وإدارة الأزمات الدولية، وأسباب الحروب بين الدول وسبل منعها.

صدر للدكتور ليندمان حديثاً، مع إيريك رينغمار، كتاب **السياسة الدولية لنيل الاعتراف** *International Politics of Recognition* (Boulder, CO: Paradigm Yale Series, 2012)؛ وكتاب **الحرب لنيل الاعتراف** *War for Recognition* (Colchester: ECPR Press monographs, 2011)؛ وكتاب **الحرب** *La Guerre* (Paris: Armand Colin, 2010). كما يكتب في مجاله البحثي في دوريات بارزة، مثل:

International Theory, International Political Sociology, Revue Française de Science Politique, and *Critique Internationale.*


@Ahmedyassin90



179 سلسلة محاضرات الإمارات

الخطاب الداخلي في إيران والتحديات الأمنية الحقيقية

توماس ليندمان



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية